«الإيمان، إكتمال العقل»

نقاط مدونة من مداخلات فرانشيسكو كاسيزي ودافيدي بروسبيري
في يوم بداية العام للبالغين بحركة الشراكة والتحرر من أقليم لومبارديا

المقام في منتدى ميديولانوم بأساجو (ميلانو) وبالفيديو عبر الانترنت في ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٣

«الإيمــان، إكتمال العقــل»

نقاط مدونة من مداخلات فرانشيسكو كاسيزي و دافيدي بروسبيري
في يوم بداية العام للبالغين بحركة الشراكة والتحرر من إقليم لومبارديا
المقام في منتدى ميديولانوم في أساجو (ميلانو) وبالفيديو عبر الانترنت في ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٣

دافيدي بروسبيري (Davide Prosperi)

تُذكرنا الكلمات المدونة في إنجيل القديس يوحنا التي يخاطب بها يسوع الآب في الساعة التي يتمجد فيها الابن، بالسبب العميق لوجودنا هنا اليوم لنبدأ العام سوياً: «يا أَبَتِ القُدُّوس اِحفَظْهم بِاسمِكَ الَّذي وَهَبتَه لي لِيَكونوا واحِداً كما نَحنُ واحِد. [...] كَرِّسْهُم بالحَقّ إِنَّ كلِمَتَكَ حَقّ. كَمَا أَرسَلتَني إِلى العالَم فكَذلِكَ أَنا أَرسَلتُهم إِلى العالَم. وأُكَرِّسُ نَفْسي مِن أَجلِهِم لِيَكونوا هم أَيضاً مُكَرَّسينَ بِالحَقّ. لا أَدْعو لَهم وَحدَهم بل أَدْعو أَيضاً لِلَّذينَ يُؤمِنونَ بي عن كَلامِهِم. فَلْيكونوا بأَجمَعِهم واحِداً: كما أَنَّكَ فِيَّ، يا أَبَتِ، وأَنا فيك فَلْيكونوا هُم أَيضاً فينا لِيُؤمِنَ العالَمُ بِأَنَّكَ أَنتَ أَرسَلتَني. وَأَنا وَهَبتُ لَهم ما وَهَبْتَ لي مِنَ المَجْد لِيَكونوا واحِداً كما نَحنُ واحِد: أَنا فيهِم وأَنتَ فِيَّ لِيَبلُغوا كَمالَ الوَحدَة ويَعرِفَ العالَمُ أَنَّكَ أَنتَ أَرسَلتَني وأَنَّكَ أَحبَبتَهم كما أَحبَبتَني».[١]

لنستمطر عمل الروح القدس، الذي وحده يستطيع أن يجعلنا نسمع صوت المسيح باستمرار في حياتنا.

تعال أيها الروح القدس

فرانشيسكو كاسيزي (Francesco Cassese)

مرحبًا بكم جميعًا، وشكراً لحضوركم. وأحيي جميع الحاضرين في ميلانو، وأيضاً جميع من يتابعنا عبر الفيديو من مختلف مدن إقليم لومبارديا.

نود أن نبدأ يومنا هذا بمقدمتين صغيرتين.

المقدمة الأولى هي المحتوى الذي سنصغي له اليوم يتناول من جديد المقدمة والخلاصة التي قدمها دافيدي بروسبيري في الإجتماع الدولي للمسئولين في لا تويل، الشهر الماضي. وأود أن أؤكد أن درس اليوم هو ثمرة عمل طويل أشعرنا بالامتنان حقاً لقيامنا به خلال العام الماضي مع بعض المسئولين، والذي كان محوره «الخبرة المسيحية»، وهي بُعد هام للغاية في النهج الأصيل للأب جوساني تجاه الحياة والإيمان، والذي أولى له اهتمامًا كبيراً منذ بدايات حركتنا.

والمقدمة الثانية التي أود تسليط الضوء عليها هي أن اليوم وفي الأيام القادمة سيقام يوم بداية العام في مناطق إيطاليا وفي الدول التي نتواجد فيها. وسيتناول بعض المسؤولين من جديد المضمون الذي سيقدمه لنا دافيدي اليوم وسيقوم أعضاء من الجماعات المعنية بمشاركة شهادة حياتهم.

---

[١] يو ١٧: ١١، ١٧ - ٢٣

بروسبيري

أود الإضافة بأن هذا الاختيار هو طريقة لتقدير مسؤولية أولئك الذين يساعدونني في قيادة الحركة، ولتشجيع عمل مشترك ملموس بين جميع الذين سيشاركون في الأماكن المختلفة. وهو أيضاً طريقة للتعبير عن الإهتمام والشغف الذي أكنه شخصياً لكل واحد منكم، والذي بدأت أدركه بشكل أكثر وضوحًا من خلال المهمة التي تم تكليفي بها في هذه المرحلة من تاريخنا. إن الأبوة التي حدثنا عنها الأب جوساني على الدوام يمكن أن نعيشها ونمارسها بدرجات كثيرة، كما هو مطلوب من كل واحد منا. وأتذكر هنا الكلمات التي اختتم بها الأب جوساني الإجتماع العام للرياضة الروحية للأخوية في عام ١٩٩٩: «وهكذا، لهذا السبب أردت أن آتي هنا لأحييكم. وأتمنى أن تعيشوا خبرة الأب؛ الأب والأم: وأتمنى ذلك لجميع القادة، ولجميع المسؤولين في جماعاتكم، ولكن أيضًا لكل واحد منكم، لأن كل واحد يجب أن يكون أباً للأصدقاء الذين لديه هناك، ويجب أن يكون أماً للناس الذين لديه هناك؛ بلا إستعلاء على أحد، ولكن بحب حقيقي. ففي الواقع، لا يمكن لأي أحد أن يكون محظوظاً وسعيداً مثل رجل وامرأة يشعران بأن الرب جعلهما أباً وأماً لجميع من يلتقون بهم».[٢]

قبل الدخول في محتوى الدرس، لنرنم معاً ترنيمتين:

١) لو كنت تعلم (أ. أتنازيو) (ترنيمة إيطالية)

٢) الأشياء التي أراها (ر. ڤيراس و ر. مانيسكالكو) (ترنيمة إنجليزية)

«أيها الأعزاء، إعتنوا بالعطية الثمينة لكاريزمتكم وبالأخوية التي تحميها، لأنها قادرة على أن تجعل حياة الكثيرين "تزدهر" من جديد [...]. فقدرات و إمكانات كاريزمتكم الكامنة لا تزال تحتاج في جزء كبير منها إلى اكتشاف، إذ هناك الكثير مما يجب اكتشافه».[٣]

هذه هي الدعوة المُلهِمة التي تلقيناها من قداسة البابا منذ عام تقريباً. و بناءً على ذلك، إخترنا إعادة تناول مسيرة مدرسة الجماعة من البداية، إنطلاقاً من كتاب "الحس الديني". وخلال هذه المسيرة التي بدأناها، أدركنا أننا قد افترضنا مسبقاً مضمون ومعنى بعض الكلمات الأساسية، التي تعتبر، كما نقول، أحد الأركان الأساسية للمُقترح التربوي لكاريزمتنا. فعلى سبيل المثال، موضوع عِصمة القلب والتوافق مع الدلائل والاحتياجات الأصلية التي تشكله؛ ولكن الأهم من ذلك، العودة إلى الجذور، إلى قضية الخبرة الإنسانية.

من جهة أخرى، قمنا بتخصيص الرياضة الروحية لأخوية لموضوع الإيمان. فما العلاقة بين الخبرة الإنسانية، كما يفهمها ويعنيها الأب جوساني، والإيمان المسيحي؟ نريد في عملنا في الأشهر القادمة، أن نساعد بعضنا البعض في الإجابة على هذا السؤال. لذلك قلنا لأنفسنا: يجب أن نتعامل بجدية وتواضع، أي بدون ادعاء الفهم بالفعل قبل البدء في عملنا، بالمقارنة مع تعليم الأب جوساني. وهذا لا يعني السير في أرض مستنقعات، حيث يتم محو الخطوات التي سبق أن قمنا بها. بل يعني العودة إلى منابع الخبرة التي نعيشها بالفعل، لتعميق قيمتها ومعناها أكثر فأكثر، مع السماح لأنفسنا دائماً بالاستفادة من التحديات الجديدة، وأيضاً من الصعوبات التي نواجهها في مسيرتنا.

إن الكاريزما (الموهبة) المُعطاة لنا هي شكل من أشكال التعليم؛ وهي، في الوقت نفسه، شيء جديد في الحياة يعبر عن ذلك التعليم ويحييه: إنها تجديد لخبرة الإيمان المسيحي، في الزمان والمكان، بلغة جذابة ومقنعة، ومناسبة للحاضر، يستثمر من خلالها حدث المسيح حياتنا، ويقرع على بابنا.

---

٢ الأب لويجي جوساني، كتاب «بذل الحياة من أجل عمل آخر»، بور، ميلانو ٢٠٢١، ص ١٩٢.

٣ البابا فرنسيس، «ليلتهب في قلوبكم هذا القلق المقدس النبوي والتبشيري»، ملحق مجلة «آثار»، عدد ١٠ / ٢٠٢٢، الصفحات ١٤ - ١٥.

وأود الآن التركيز على أحد هذه العوامل - وهو الخبرة - التي أعتقد أنه من المهم توضيحها بدقة كي يأتي العمل في الأشهر المقبلة بثمار وفوائد أكثر.

١) مركزية الخبرة وعلاقتها بالايمان

مفهوم الخبرة

قبل أي شيء، من الضروري توسيع مفهوم الخبرة بالنسبة لكيفية فهمها بشكل عام، من أجل فهم مركزيتها بالكامل في المقترح التربوي للأب جوساني، وملازمتها الكاملة لتقليد الكنيسة. وليس من قبيل الصدفة أنه ينسب في كتابه "المخاطرة التربوية" دوراً أساسياً إلى الارتباط بالتقاليد، الذي لا غنى عنه في التربية، والذي بدونه نبقى حتماً - على حد تعبيره - «تحت رحمة قوى الغريزة غير المنضبطة [في ردود أفعالنا] وتحت رحمة السلطة القائمة».[٤]

والاعتراف بالدور الأساسي للخبرة، كان أمراً واضحاً وجلياً منذ البداية (نحن نتحدث هنا عن النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي). إذ يظهر بوضوح إصرار الأب جوساني على إعتبار المسيحية كخبرة، ولقاء، وحدث،[٥] والخبرة كمكان للتحقق من المقترح المسيحي.[٦] وفي سنوات لاحقة، تم التأكيد بوضوح على الخبرة كنقطة انطلاق ضرورية لكل معرفة أصيلة («فلا يمكن للإنسان أن يبدأ إلا من الخبرة الإنسانية، التي هي المكان الذي يبُرز فيه الواقع»، وفيه «يكشف عن ذاته»).[٧]

وحول موضوع الخبرة، كتب الكاردينال مونتيني آنذاك (الذي أصبح فيما بعد البابا بولس السادس) رسالة إلى الأب جوساني في عام ١٩٦٣، أعرب فيها عن بعض مخاوفه: «أشير بشكل خاص إلى الخبرة المسيحية كمصدر للحقيقة المسيحية؛ كمنهج تربوي، يمكن أن يكون جيداً أيضاً، إذا قام المعلم بتوجيهه وغرسه في أذهان الشباب بالمقياس الموضوعي للحقائق والقيم: لكن أولوية الخبرة هذه، المنظور إليها على أنها مطلقة، أمر غير مقبول؛ وأتباع هذا المنهج العديمي الخبرة قد يعطونك تعبيراً عقائدياً غير دقيق».[٨] ويعبّر مونتيني عن قلقه من خلال نقل مواقف ينسبها البعض إلى الأب جوساني، حتى لو لم تكن مواقفه.

وبعد بضعة أشهر من تلقي الرسالة، يرد الأب جوساني على مخاوف الكاردينال مونتيني بتأليف وإصدار كتيب بعنوان الخبرة، والذي حصل على الموافقة بنشره من المونسنيور كارلو فيجيني، المسئول عن المراجعة والموافقة على إصدارات أبرشية ميلانو. كان الكتيب مكون من صفحات قليلة، ولكنها مركزة جداً في مضمونها. وفي عام ١٩٦٤، أُعيد نشر جزء منه في "مذكرات المنهج المسيحي"، وهو الجزء الخاص بالخبرة المسيحية، بينما في كتاب «المخاطرة التربوية" (١٩٧٧) أُعيد نشر النص بالكامل بعنوان "بِنية الخبرة". ويعرض فيه الأب جوساني مفهومه عن الخبرة وفي الوقت نفسه يوجه نقداً مزدوجاً: فهو يقول لا لاختزال الخبرة في إختبار بدون حكم، ويقول لا لاختزال الخبرة الحميمية والداخلية والذاتية، أي إلى الاختزال البروتستانتي والحداثي.

ففي الجانب الأول من النقد، يلاحظ الأب جوساني: «إن ما يميز الخبرة ليس بالأحرى القيام بأعمال، وإقامة علاقات مع الواقع كحدث آلي: إنه الخطأ الضمني في العبارة المعتادة «القيام بخبرات» حيث تصبح «الخبرة» مرادفة لـ «تجربة». إن ما يميز الخبرة هو فهم الشيء

---

[٤] الأب لويجي جوساني، كتاب «الحس الديني» بور، ميلانو ٢٠٢٣،

[٥] الأب لويجي جوساني، «كيفية التربية على معنى الكنيسة» (١٩٦٠)، في نفس النص، يحمل الرجاء. الكتابات الأولى، ماريبتي ١٨٢٠، جنوا ١٩٩٧، الصفحات ٧ - ٨.

[٦] إلى جانب الكتابات المجمعة في مؤلفات الأب جوساني، «يحمل الرجاء» سبق ذكره آنفاً، على سبيل المثال: لويجي جوساني، «المسيرة إلى الحقيقة هي خبرة»، ريتسولي، ميلانو ٢٠٠٦، الذي يحتوي على نصوص تعود إلى الأعوام ١٩٥٩، ١٩٦٠ و ١٩٦٤؛ ونفس الشيء في كتاب «حركة الشراكة والتحرر (١٩٥٤ - ١٩٨٦). حوارات مع روبي رونزا (١٩٨٧)، بور، ميلانو ٢٠١٤.

[٧] الأب لويجي جوساني، «الوعي الذاتي بالكون»، بور، ميلانو ٢٠٠٠، الصفحات ٢٧٤ و ٢٨٧.

[٨] الكاردينال جوفاني باتيستا مونتيني المذكور في كتاب ألبرتو سافورانا «حياة الأب جوساني»، بور، ميلانو ٢٠١٤، ص ٢٩٩.

واكتشاف معناه. وبالتالي فإن الخبرة تنطوي على فهم معنى الأشياء. ويتم اكتشاف معنى الشيء في ارتباطه بالباقي، وبالتالي فإن الخبرة تعني اكتشاف شيء معين ينفع ويفيد العالم».[٩]

ويبلور الأب جوساني مفهوماً للخبرة لا يوجد فيها حكم خارج ذاتها (كأننا نقول: هناك خبرة و"بعد ذلك" هناك حكم)، ولكنها تحتويه، وتعنيه، وتتميز به. فالحكم جزء لا يتجزأ من الخبرة. ويكتب الأب جوساني في كتابه «الحس الديني»: «إن الخبرة تتفق بالطبع مع «إختبار» شيء ما، ولكنها تتوافق قبل كل شيء مع الحكم الصادر على ما يختبره الانسان».[١٠] ويقول أيضاً في سياقات أخرى أن الخبرة هي «اختبار أصدرنا عليه حكمنا».[١١] والمرجع حتى هذه اللحظة هو الخبرة بشكل عام.

الخبرة المسيحية

ويتم تطوير الجانب الثاني من النقد (رفض الإختزال الشخصي للخبرة) في الجزء الثاني من الكتيب الصادر في عام ١٩٦٣، حيث يتناول فيه الأب جوساني الخبرة المسيحية. فالفقرات المخصصة لهذا الموضوع جوهرية، إذ عبر عنها الأب جوساني بشكل واضح ومختصر إلى درجة تستحق عناء الاستشهاد بها كاملةً.

«تظهر الخبرة المسيحية والكنسية كفعل حيوي ينبع من عامل ثلاثي الجوانب:

أ) إن اللقاء بحدث موضوعي مستقل في أصله عن الشخص الذي يعيش الخبرة؛ حدث واقعه الوجودي هو واقع جماعة موثقة بشكل محسوس كما هو الحال مع أي واقع إنساني كامل؛ جماعة يُكوّن فيها الصوت الانساني للسلطة في أحكامها وتوجيهاتها معياراً وشكلاً. فلا يوجد نسخة للخبرة المسيحية، مهما كانت خبرة داخلية، لا تتضمن على الأقل في نهاية الأمر على هذا اللقاء مع الجماعة وعلى هذه المرجعية إلى السلطة.

ب) القدرة على إدراك وفهم مغزى ذلك اللقاء بشكل مناسب. إذ تتجاوز قيمة الحدث الذي نواجهه القوة الاختراقية للوعي الإنساني، وتتطلب بادرة إلهياً لفهمها بشكل مناسب. ففي الواقع، إن نفس البادرة التي يظهر فيها الله للإنسان في الحدث المسيحي تُعلي أيضاً من شأن قدرة الوعي على المعرفة، وتُكيف حدة نظرة الإنسان للواقع الاستثنائي الذي يستثيره. ما نسميه نعمة الإيمان.

ج) الوعي بالتوافق بين معنى ومغزى الحدث الذي نواجهه ومعنى ومغزى وجودنا نحن - وبين الواقع المسيحي والكنسي وشخصي أنا - بين اللقاء ومصيري الشخصي. إنه الوعي بذلك التوافق الذي يتحقق من ذلك النمو الشخصي الذي يعتبر أمراً جوهرياً لظاهرة الخبرة».[١٢]

ويضعنا العامل الثلاثي المشار إليه أمام تصور ومفهوم الأب جوساني للخبرة المسيحية، يُخلصها من الاختزالات السابق ذكرها. إذاً، بتلخيصنا لما سبق، نقول أنه بدون أي من هذه العوامل، أي اللقاء بالحدث الموضوعي (المجتمع والسلطة) وإدراك وفهم معنى ومغزى الحدث (نعمة الايمان) والوعي بالتوافق بين الحدث (المسيحي) والواقع المسيحي والكنسي و شخصي أنا (بالتحقق)، لا يمكن التحدث عن «الخبرة المسيحية»، لأن ذلك سيُضِر بكمالها وأصالتها.

---

[٩] الأب لويجي جوساني، «المخاطرة التربوية»، ريتسولي، ميلانو ٢٠١٤، الصفحات ١٢٦ - ١٢٧.

[١٠] الأب لويجي جوساني، «الحس الديني»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٧.

[١١] الأب لويجي جوساني، «جاذبية يسوع»، بور، ميلانو ١٩٩٩، ص ٣١٦.

[١٢] الأب لويجي جوساني، «المخاطرة التربوية»، كتاب سبق ذكره آنفاً، الصفحات ١٣٠ - ١٣١.

٢) علاقة الخبرة بالايمان

دينامية الإيمان

يقوم الأب جوساني في كتابيه «هل يمكن العيش هكذا؟» ثم في «هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟» وهو يتحدث إلى الشباب الذين بدأوا مسيرة التكريس الكامل للمسيح بحياة البتولية بتقديم وصف لدينامية الايمان المسيحي، «كيف ينطلق الايمان»، «ويولد و إعطاء الشهادة له بطريقة إنسانية وعقلانية».[١٣]

وكي يقدمه لنا، قام الأب جوساني بصياغة مقدمات طويلة عن الإيمان كطريقة معرفية للعقل. فالعقل لديه ، في الواقع ، طريقة لمعرفة «أشياء لا يراها مباشرة ولا يمكنه رؤيتها مباشرة»: إذ يمكنه «معرفتها من خلال شهادة الآخرين». وتُسمى «المعرفة غير المباشرة بالوساطة»[١٤] أو المعرفة بالإيمان وهي ليست أقل يقيناً من تلك المكتسبة بشكل مباشر ، بشرط أن يتم الوصول إليها ، من خلال منهج اليقين الأخلاقي ، أي حُكم بموثوقية الشاهد: «فإذا وصل [أحدهم] إلى اليقين بأن شخصاً ما يعرف ما يقوله ولا يريد خداعه، عندئذ يجب عليه منطقياً أن يثق بذلك، لأنه إذا لم يفعل ذلك سيناقض نفسه».[١٥] وبالتالي، قد لا أكون قد زرت أمريكا أبداً في حياتي وأؤكد بطريقة عقلانية، وبيقين، من خلال شهادة الآخرين بأنها موجودة. فالثقافة والتاريخ والتعايش الانساني يستند على هذا النوع من المعرفة.

وبعد الانتهاء من هذه المقدمة، خاطب الأب جوساني محاوريه قائلاً: «بما أن المسيح هو موضوع ايماننا الكلي. فكيف لنا إذن معرفة المسيح بطريقة تجعلنا نضع كل تضحيات حياتنا عليه؟». من الواضح أنه من بين الأساليب «التي يستخدمها العقل، هو أسلوب الإيمان الذي سيُطبق هنا. فنحن لا نعرف المسيح معرفة مباشرة، ولا بالأدلة، ولا بتحليل الخبرة».[١٦] بل نعرفه بالإيمان تحديداً.

لندخل إذن إلى دينامية الايمان المسيحي.

أ) كي يقوم بوصف هذه الدينامية، يعود الأب جوساني إلى الأصل، إلى كيف ظهرت المعضلة في التاريخ، وبالتالي إلى تلك الصفحة من إنجيل القديس يوحنا[١٧] التي يروي فيها لقاء أندراوس ويوحنا مع يسوع الناصري. إن هذا هو العامل الأول لرحلة الايمان المسيحي. «فالطابع الأول للايمان المسيحي هو أنه يبدأ من حدث في شكل لقاء».[١٨] وهذا، مثل كل خطوة من المسيرة التي سنستعيدها إلى ذاكرتنا، ينطبق تماماً علينا اليوم.

ب) العامل الثاني: هو الطبيعة الاستثنائية للحدث. فالانسان الواقف أمامهم كان له «حضوراً استثنائياً». و إلا كيف أمكنهم، بعد بضع ساعات فقط، أن يجعلوا كلماته خاصة بهم ويكرروها للآخرين؟ «لقد وجدنا المَسيّا». والآن، كلمة «استثنائي» بالنسبة للأب جوساني تعني تلبية الاحتياجات الأصلية لقلب الانسان. «فالعثور على إنسان استثنائي يعني العثور على رجل يحقق التوافق مع ما ترغب فيه، أي مع الاحتياج إلى العدالة والحقيقة والسعادة والحب... وهو ما ينبغي أن يكون أمراً طبيعياً، لكنه لا يحدث أبداً، إنه مستحيل ولا

---

١٣ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، بور، ميلانو ٢٠٠٩، ص ٧١. هنا يتناول الأب جوساني من جديد مضمون كتاب سابق له: «في أصل الإدعاء المسيحي» (ريتسولي، ميلانو ٢٠١١)، خاصة الفصول من الثالث إلى السابع.

١٤ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٢٦.

١٥ نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٤١.

١٦ نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٤٢.

١٧ يو ١: ٣٥ - ٥١.

١٨ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره آنفاً، الصفحات ٤٥ - ٤٦.

يمكن تصوره». وبهذا المعنى، يؤكد الأب جوساني أن «الاستثنائي يعادل الإلهي: إلهي، لأن الله هو الإجابة على قلب الانسان». إذ أن الشيء الاستثنائي حقًا هو شيء إلهي: أي هناك شيء إلهي فيه».[١٩]

ج) العامل الثالث: هو الدهشة «فالحدث الذي يبدأ منه الايمان بالمسيح، أي اللقاء الذي يبدأ منه إيمان أندراوس ويوحنا [...] أثار دهشة عظيمة فيهم». في هذين الاثنين وفي الآخرين الذين شكلوا المجموعة الصغيرة الأولى التي رافقت يسوع في الأماكن التي ذهب إليها، وبعد ذلك في جميع الناس الذين التقوا به، وُلِدت دهشة لا يمكن كبتها: فقد كان أمامهم إنسان لا مثيل له، بسبب كل ما قاله («لم يتكلم أحد مثل هذا الرجل على الاطلاق)، وما فعله (المعجزات، وقدرته على الواقع، وصلاحه، ونظرته الكاشفة للإنسان...). «لكن الدهشة هي دائمًا سؤال، على الأقل سؤال سري».[٢٠] والتي تتفجر في مرحلة ما.

د) العامل الرابع: هو ظهور سؤال متناقض: «من هذا الرجل؟». إنه أمر متناقض لأنهم «كانوا يعرفون كل شيء عن يسوع، وكانوا يعرفون جيدًا من هو، ولكن طريقته في التصرف، كانت استثنائية للغاية» لدرجة أن هؤلاء «الذين كانوا أصدقاء له، لم يستطيعون منع أنفسهم من القول: "لكن من يأتي ذاك الرجل؟" ». ويقول الأب جوساني ملاحظاً: «إن الإيمان يبدأ بالضبط بهذا السؤال: "من هو ذاك الرجل؟"».[٢١]

ف) العامل الخامس: هو جوابه.[٢٢] الذي تم تذكره للتو هو سؤال لا مفر منه، لكنه سؤال لا يمكن الإجابة عليه: من هو حقًا لا يمكننا أن نقول بأنفسنا، وهويته (ألوهيته) بعيدة عن استيعاب العقل. وتروي الأناجيل حادثة حدثت بالقرب من قيصرية فيليبي. كان يسوع هناك مع تلاميذه. واستولت عليه فكرة مفاجئة وسأل تلاميذه: «مَنْ أنا في رأيِ النّاسِ؟».[٢٣] وبعد الإجابات التي نعرفها، يطرح عليهم السؤال: «ومَنْ أنا في رأيكُم أنتُم؟». فقال بطرس باندفاع: «أَنتَ المسيحُ، ابنُ اللهِ الحيّ!».[٢٤] وفي عدة مناسبات يعلق الأب جوساني: مكرراً : «حتى لو لم يكن لديه المعنى الكامل، فربما قد سمع شيئًا قاله يسوع عن نفسه».[٢٥] ويمدحه يسوع: «هَنيئًا لَكَ، يا سِمْعانُ بنَ يُونا! ما كشَفَ لكَ هذِهِ الحَقيقةَ أحدٌ مِنَ البشَرِ، بل أبي الّذي في السَّماواتِ».[٢٦] إنها في الواقع إجابة تتجاوز قدرة العقل البشري: «فالعقل لا يستطيع أن يثبت ألوهية المسيح، لأن الألوهية الحاضرة بطريقة شخصية في واقع بشري ليست هي الموضوع الصحيح للعقل. إذ يمكن للعقل أن يصل إلى حقيقة أنه يقف أمام شيء استثنائي، ولا يمكن أن نصل إلى تعريف من هو يسوع المسيح، لكونه إله يعلن ذاته للبشر». لذلك لا يستطيع بطرس إلا أن يقول: «نحن نعلم أن الله لأنك قلت لنا ذلك».[٢٧] فالاجابة على السؤال من هو هي إجابة يسوع. إذ «يؤمن» بطرس بما يقوله يسوع عن نفسه. فكيف يمكن أن يصدقه؟ بالنسبة لبطرس والآخرين، يومًا بعد يوم، منذ اللقاء الأول، وهم يتبعونه ويتواجدون معه، صار شيء واحد

---

١٩ نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٤٦ و ٤٨-٤٩.

٢٠ نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٤٩.

٢١ نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٥٢ - ٥٣.

٢٢ وبعودته إلى كتاب «هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟» حول رحلة الايمان التي صاغها في خمس نقاط في كتابه «هل يمكن العيش هكذا؟» يقترح الأب جوساني تقسيم مختلف، في ست نقاط، التي أتبناها هنا. هو يقول في الواقع: «أود أن أشير إلى ست نقاط: النقطة الرابعة هي سؤالنا «من هو؟"؛ والخامس هو إجابته، لأننا لا نثبت أنه الله (لقد وصلنا إلى هذا السؤال، سؤال لا مفر منه، لا يوجد فيلسوف، ولا عالم رياضيات، ولا يوجد شيء يمكنه الإجابة عليه؛ ولكن إذا لم أسأل ذلك السؤال، يجب على أن أنكر ما كان واضحًا بالنسبة لي حتى النهاية: يجب أن أعارض الأدلة)؛ والسادس إذن هو الشجاعة في أن نقول نعم: دورنا كشجاعة) «الأب جوساني، هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟»، بور، ميلانو ٢٠٢٠، ص ١٤٠).

٢٣ مر٨: ٢٧.

٢٤ مت١٦: ١٥-١٦.

٢٥ الأب لويجي جوساني، «في أصل الادعاء المسيحي»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٨٦

٢٦ مت ١٦: ١٧.

٢٧ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن (حقاً؟!) أن نعيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره آنفاً، الصفحات ٩٣ و ٩٤ و ٩٥.

أكثر وضوحًا من أي شيء آخر: «أنه كان عليهم أن يثقوا به: "إن لم أصدق هذا الرجل، فلا أستطيع تصديق عيني أيضاً"».[٢٨]

ق) العامل السادس: هو مسئوليتنا أمام الحدث («الشجاعة في أن نقول نعم»[٢٩]). «فأمام السؤال "من هو ذاك الرجل؟" وأمام الإجابة التي يقدمها بطرس، يمكن للمرء أن يقول نعم أو لا: فالالتزام بما يقوله بطرس أو الذهاب بعيداً كما فعل الآخرون».[٣٠] إذ أن إجابة بطرس هي إجابة الإيمان: «الإيمان يُثبت الشيء لأنه قاله هو (يسوع). نقطة». و «من المعقول أن يقبل المرء شيئاً لأن (يسوع) قاله، لأنه يمكننا تاريخياً إدراك و إثبات استثنائية سلوكه، واستثنائية آدائه، التي لا يمكن أن نجدها في أي مكان آخر».[٣١] بل، يؤكد لنا الأب جوساني أن «الشيء العقلاني الوحيد هو القبول. لماذا؟» لأن المسيح «يتوافق مع طبيعة قلوبنا أكثر من أي تصور منا، فهو يتوافق مع تعطشنا للسعادة الذي يُشكل سبب عيشنا».[٣٢] في حين أن «الرفض يُولد دائماً من تصور مسبق، من حقيقة أن يسوع يصير فضيحة وعائقًا أمام ما تريد».[٣٣]

وبعد مرور ألفي عام، نجد أنفسنا في نفس الوضع تماماً. وكما كان بطرس والآخرون يتعاملون مع يسوع الناصري الإنسان، ومع استثنائيته، كذلك نحن نتعامل مع الواقع الإنساني لشهوده، ومع الكنيسة، التي من خلالها يصبح المسيح حدثاً في الحاضر. وعندما نصادف شخصاً معيناً، أو جماعة معينة، أو طريقة معينة للحياة، فينا أيضاً، بسبب التوافق مع احتياجات القلب الأصلية الذي تم اختباره، تولد الدهشة التي تصبح سؤالاً: «كيف يمكن أن يكونوا كذلك؟». وبفضل الثقة بالشهود، التي نمت في مسيرة تعايش تشمل كل عقلنا وحريتنا الناضجة، والانفتاح على الاعتراف والقبول بإجابة بطرس، التي نقلتها لنا الكنيسة نفسها والرفقة المسيحية التي التقينا بها.

كيف يصير إذن إعتراف بطرس إعترافي؟ الآن، كما كان آنذاك، لا يمكن للعقل معرفة المحتوى الإلهي للظاهرة الإنسانية التي نواجهها، لأن موضوع الإيمان (الإله الحاضر في الإنسان) يتجاوز بشكل بنيوي الموضوع الطبيعي والسليم للعقل: «إذ يتم الاعتراف بحضور المسيح لأن المسيح «يستحوذ على» المرء. لكي يحدث الإيمان في الإنسان وفي العالم، يجب أن يحدث أولاً شيئاً هو نعمة، نعمة خالصة: أي حدث المسيح، اللقاء مع المسيح، الذي فيه يختبر المرء حضور استثنائي لا يمكن أن يحدث من تلقاء ذاته.[٣٤]

ويؤكد الأب جوساني في كتاب «إيلاد آثار في تاريخ العالم» أن الإيمان هو «جزء من الحدث المسيحي لأنه جزء من النعمة التي يمثلها الحدث، بما هو عليه. [...] فكما يهبني المسيح نفسه في حدث حاضر، كذلك يحيي في داخلي القدرة على فهمه والتعرف عليه». ولكن، في نفس السياق، حريتنا مدعوة إلى السؤال وقبول الاعتراف به. فنحن أيضاً على المحك. «فحرية الإنسان تتلخص في السؤال: "بقبول أن كل شيء هو نعمة، أطلب منك النعمة": وهكذا تخلص تماماً الحقيقة بأن كل شيء هو نعمة، وأن نعمة المسيح تعتمد في فعاليتها أيضاً على حريتي».[٣٥]

---

٢٨ نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ١١٨.
٢٩ نفس الكتاب المذكور آنفاً، ص ١٤٠.
٣٠ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٥٥.
٣١ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن (حقاً؟!) أن نعيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٩٤.
٣٢ نفس الكتاب المذكور آنفاً، ص ١٤٣.
٣٣ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٥٧.
٣٤ الأب لويجي جوساني - الأب ستيفانو ألبرتو - الأب خافيير براديس، «إيلاد آثار في تاريخ العالم»، بور، ميلانو ٢٠١٩، ص ٤٣.
٣٥ نفس الكتاب المذكور آنفاً، الصفحات ٤٤ و ٤٧.

لذلك لا يمكن لأحد منا أن يصل إلى اليقين عن المسيح وعن ألوهيته وهويته كابن الله، فقط - وأؤكد فقط - بفضل شيء يحدث له الآن، أي بفضل الخبرة المباشرة التي عاشها. حتى لو كانت معجزة خارقة لا مثيل لها.

وتلخيصاً لكل ما قيل، دعونا نفكر في حادثة المولود أعمى (كما يظهر في الصورة التي اخترناها ليوم بداية العام هذا) التي رواها لنا إنجيل القديس يوحنا. إن خبرة المولود أعمى، عندما طلى يسوع عينيه بالطين، هي شفاء عينيه. لكن كون يسوع هو ابن الله، فهذا حكم لا يستطيع حتى الرجل المولود أعمى أن يصدره بحكم خبرته المباشرة. «وعادَ الفَرِّيسيُّونَ فدَعَوا الرَّجُلَ الّذي كانَ أعمى وقالوا لَه: "مَجِّدِ اللهَ! نَحنُ نَعرِفُ أنَّ هذا الرَّجُلَ خاطِئٌ". فأجابَ: "أنا لا أعرِفُ إنْ كانَ خاطِئًا، ولكنّي أعرِفُ أنّي كُنتُ أعمى والآنَ أُبصِرُ"». ها هي الخبرة المباشرة التي جعلته يقول هذا. ثم، في رده على إعتراضات الفريسيين، أضاف قائلاً: «"عَجَبًا كيفَ يَفتَحُ عَينَيَّ ولا تَعرِفونَ مِنْ أينَ هوَ! . نَحنُ نَعلَمُ أنَّ اللهَ لا يَستَجيبُ لِلخاطِئينَ، بل لِمَنْ يَخافُهُ ويَعمَلُ بِمَشيئَتِهِ. وما سَمِعَ أحَدٌ يومًا أنَّ إنسانًا فتَحَ عَينَي مَولودٍ أعمى. ولَولا أنَّ هذا الرَّجُلَ مِنَ اللهِ، لَما قَدِرَ أنْ يَعمَلَ شَيئًا"». فحتى هذا الحكم، الناجم عن التحقق السابق، هو حكم داخل الخبرة نفسها. لكن المسيرة لم تنتهي هنا. «فقالوا لَه: "أتُعَلِّمُنا وأنتَ كُلُّكَ مَولودٌ في الخَطيئَةِ؟". وطَرَدوهُ مِنَ المَجمعِ. فسَمِعَ يَسوعُ أنَّهُم طَرَدوهُ، فقالَ لَه عِندَما لَقِيَهُ: "أتُؤمِنُ أنتَ بِابنِ الإنسانِ؟"». ولننتبه هنا إلى هذه الفقرة المفتاحية: فحتى الآن يستطيع الرجل الأعمى إستيعاب إستثنائية الحدث الذي وقع له وللشخص الواقف أمامه، لكنه لا زال غير قادر على إعطاء الاسم الصحيح لصانع هذا الحدث والواقف أمامه («إبنِ الانسان»). «أجابَ: "ومَنْ هوَ، يا سيِّدي، فأُؤمِنَ بِهِ؟". فقالَ لَه يَسوعُ: "أنتَ رأيتَهُ، وهوَ الّذي يُكَلِّمُكَ!"». [٣٦] هذا هو الإيمان الذي أصبح ممكناً بمبادرة المسيح نفسه هناك أمامه، والذي يقبله المولود أعمى و يتمسك به. وبدون هذه الخطوة الأخيرة من الاعتراف، هو ليس إيمان بعد، على الأقل حسب ما هو صحيح لكاريزمتنا. وقد كرر لنا الأب جوساني مرات عديدة حتى الإرهاق بأن: الإيمان هو الاعتراف بحضور المسيح.

«فآمن به تلاميذه»

يجب علينا أيضاً القيام بنفس المسيرة التي قام بها الأولين الذين التقوا به والذين ذكرناهم. وكما تعلمنا، وفقًا للنظرة الكاثوليكية، فإن عمل الروح يستخدم وساطة شهود حقيقيين، ووساطة الكنيسة، وساطة أولئك الذين فهمهم المسيح قبلي. فأنا ألتقي بالمسيح عبر لقائي بجسد شهوده، وأختبر من خلالهم توافق مع احتياجاتي الأصلية التي تكون مستحيلة لولا ذلك، وأُنضِج في داخلي الثقة فيهم بشكل معقول، وبالتالي الانفتاح على الإعلان الذي ينقلونه إليّ، ومن ثم التحقق شخصياً من أهميته وصلته بحياتي. دعونا نفكر في الدهشة التي أصابت الطالب الإكليريكي الشاب لويجي جوساني بينما كان يستمع إلى تعليق دون جايتانو كورتي على مقدمة القديس يوحنا. إنها الدهشة التي غيرت إلى الأبد الطريقة التي كان يرى بها ويشعر بها في كل لحظة. وقال (وردت العبارة أيضاً في كتاب حياة الأب جوساني): «لم تعد اللحظة، منذ ذلك الحين، تافهة بالنسبة لي».[٣٧] لقد كان حدث نعمة "إشتعال النور" في قلب وعقل الشاب لويجي جوساني، لكنه جاء من خلال كلام من كان يتحدث إليه، وهو الأب كورتي في هذه الحالة.

---

[٣٦] يو ٩: ٢٤ - ٢٥، ٣٠، ٣٤ ، ٣٨؛ النص المائل هو كلامنا

[٣٧] ألبرتو سافورانا، «حياة الأب جوساني»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٤٧.

تمامًا كما أن ما جاء أولاً، بالنسبة ليوحنا وأندراوس، لم يكن الإيمان بكلمة يسوع، بل بالأحرى الانبهار بشخصه («شاهدوه وهو يتكلم»،[٣٨] كما قال الأب جوساني)، وبالنسبة للرجل المولود أعمى الدهشة من المعجزة التي كان هو موضوعها، لذا فإن ما يأتي في المقام الأول بالنسبة لنا هو دهشة اللقاء، وجاذبية الحضور الانساني الذي يتوافق بشكل استثنائي مع القلب. ولكن من هذا الانبهار تبدأ، كما رأينا، رحلة تقودنا إلى الإيمان، وإلا فإن الخبرة التي يمكن أن نعيشها مع المسيح، في الالتقاء بالوجه الذي يتخذه لنا بشكل ملموس، تظل ناقصة وفقيرة وغير ناضجة. فكم كان كثيرون مفتونين بيسوع، لكنهم لم ينفتحوا للتعرف على هويته الحقيقية، وما هي الحياة الجديدة، الحياة الحقيقية التي أتى بها إلينا! ففي الواقع أنهم غادروه.

إذن التوافق الذي يختبره التلاميذ في تأثرهم بيسوع الانسان، كما يحدث لنا مع الرفقة المسيحية (ففي الواقع يتعلق الأمر بنفس نوع الخبرة)، هو توافق حاسم، لأنه يثير ويولد فينا الدهشة والسؤال («من ذاك الرجل؟»)، ولكنها ليست بعد خبرة الإيمان بالمعنى الكامل للكلمة. فحتى نعرف حقاً من هو ذلك الانسان، كان على الرسل أن يسلكوا الطريق الذي ذكرناه، والذي كان يجب بالضرورة وباستمرار أن يمر عبر قرار الثقة أم عدم الثقة به. وينطبق نفس الشيء نفسه علينا.

وكلنا نتذكر الكلمات التي تتكرر في الأناجيل باستمرار، كما يؤكد الأب جوساني في كتابه «في أصل الادعاء المسيحي»: «وآمن به تلاميذه». وهي عبارة تتكرر مرات عديدة، وفي لحظات مختلفة. وعندئذ يتساءل المرء: ألم يؤمنوا بالفعل؟ نعم، لكن الإيمان هو مسيرة تتكشف بمرور الوقت، في التعايش، فهو «طريق "معرفة"»[٣٩] يحتاج إلى الكثير من التأكيدات والكثير من الدعم، والذي يقود إلى العمق أكثر من أي وقت مضى، ويقدم خبرة أكثر ثراءً بالحقيقة والجمال والخير. بل، أن السير وراء المسيح يقودني أيضاً، في الوقت نفسه، إلى فهم أفضل لما يجوع ويعطش إليه قلبي حقاً. وأكثر من ذلك: باتباعي للمسيح، أدرك تدريجياً أن العلاقة مع حضوره توسع آفاق قلبي وعقلي، ليس فقط لأنها توضح ما هو إشباع عطشي، ولكن أيضًا لأنه، من خلال القيام بذلك، كلما زاد ذلك دائمًا. ينقي فهمي للعطش نفسه. فلنقله كما ينبغي أن يقال: إنه يعلمني.

ولهذا السبب يؤكد الأب جوساني على الضرورة الملحة للتعليم، وإلا فسنجد أنفسنا، بدون إدراك تقريباً، مسجونين في وعي مختزل في أدلتنا واحتياجاتنا البنيوية، فنقع في الاستخدام الذاتي للقلب (حيث يصبح ما نشعر به معياراً للحكم)، مع كل العواقب التي نعرفها: «جميع البشر» كما يقول الأب جوساني، «لديهم نفس القلب - والاحتياجات المكونة للقلب هي هي لدى الجميع - ولكن إذا لم يكن المرء متعلماً ...! هل تعلمون في الفيزياء، ما هي "أجهزة كوينكي للرنين الصوتي"؟ إذا ضربت شوكة رنانة أو ضربت تولة، وجعلتها تهتز ثم تضعها أمام هذه الأنابيب السبعة أو الثمانية، فإن الأنبوب الذي يتوافق مع الطول الموجي للصوت يردد الصوت. وهكذا، إذا لم يتم تنمية أو تعليم احتياجات القلب هذه، عندئذ يمكن للمرء أن يجيب: "لكنني لا أشعر بهذا!"، تمامًا مثل كثير من الناس الذين لا يشعرون بذلك».[٤٠]

---

٣٨ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٣٢٢.

٣٩ الأب لويجي جوساني، «في أصل الادعاء المسيحي»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٥٨.

٤٠ الأب لويجي جوساني، «أنت أو عن الصداقة»، بور، ميلانو ١٩٩٧، ص ٥١.

٣) خــبرة الايمــان

عمق جديد

يقودنا الإيمان بمرور الوقت إلى مستوى أعمق من الخبرة، أي الفهم والتذوق للأشياء، أكثر مما يمكن أن تصل إليه القدرات البشرية وحدها، أو الشعور أو الدافع الديني الطبيعي. هذه هي النقطة التي يجب أن ننظر إليها الآن، والتي يجب أن ندخل إليها، وإلا قمنا بإفراغ أو إختزال الخبرة المسيحية نفسها. إنني أفكر في العديد من أصدقائنا الذين يعطوننا شهادة لطريقة لا يمكن تصورها إنسانياً لمواجهة الألم والموت. إنهم ليسوا أناساً ممتلئين بالوساوس، أو متعصبين منفصلين عن الواقع. كلا، إن الخبرة التي أُعطيت لهم أن يعيشوها، من فرح عارم حتى في الألم، أصبحت ممكنة بالإيمان، وليس بقوتهم الخاصة؛ وما يُعطى لهم أن يروه في جسدهم المتألم أو في جسد أحبائهم - هو المشاركة في آلام المسيح - فالإيمان وحده يمكنه أن يفتحهم. إنهم يعيشون خبرة حقيقية، ولكن لا يمكن الوصول إليها بدون نعمة الإيمان. فالإيمان إذن، من ناحية، يدعمه التوافق التي نختبره في اللقاء - كما قلنا -، ولكن من ناحية أخرى هو الباب الذي يؤدي إلى خبرة توافق جديدة، والتي تصل لتشمل حتى ما لا نريد اختياره أبداً.

يشرح الأب جوساني ذلك جيداً في كتابه «البحث عن الوجه الإنساني»: «و يقول لنا القديس بولس مرة أخرى: "بل امتَحِنوا كُلَّ شيءٍ وتمسَّكوا بالحسَنِ". (١ تس ٥ : ٢١). فما يمتحن القيمة، وما يحكُم لم يعد من الممكن أن يكون هو العمق الغامض والمشوش لخبرتنا الأولية، بصورة ثرية، ولكنه لا يزال مفككاً ومن الصعب جداً فهم حاجاته واهتماماته واحتياجاته الأصلية. إنه غموض يجعل الإنسان في حالة قلق دائم. ومن ناحية أخرى، ما يجعل المرء قادراً على ، وما يجعل هذه القيمة بارزة هو النظر إلى المسيح، الكلمة النهائية لله الخالق الذي خلقنا على طبيعتنا الانسانية».[٤١]

يشبه الأمر عندما تجد نفسك تقبل ذبيحة، أو تغفر خطأً قد حدث لك، بفرح غريب في قلبك، ببساطة لأنه في ذلك اليوم حظيت بنعمة التفكير في المسيح، «والنظر في وجهه»[٤٢] أكثر من المعتاد، حسب التعبير المحبب للأب جوساني. يمكننا القول أن العلاقة بين الخبرة والإيمان هي علاقة دائرية تقريباً. أقول "تقريباً" لأنها عند الفحص الدقيق هي تقدم، ومسيرة تأخذ كل شيء إلى عمق جديد: فمن خبرة الانبهار يولد الإيمان؛ ومن الإيمان تولد خبرة جديدة، و"جاذبية"جديدة لا أستطيع الوصول إليها بدون الإيمان.

لنفكر في الحدث الذي يرويه لنا الانجيل عن المرأة السامرية، هذه المرأة التي يُنظر إليها كما لم ينظر إليها أحد من قبل، والتي تكتشف أن حياتها معروفة كما لم يحدث من قبل: فإذا كانت في مرحلة معينة، عند عودتها إلى المنزل، لم تصل، بنعمة المسيح ذاتها، إلى الحكم بأن هذا الرجل لم يكن مجرد نبي مُرسل من الله، بل كان الله نفسه الذي صار إنساناً، الله نفسه الذي سار في الصحراء حتى التعب لكي يقابلها. هذا هو حكم الإيمان! - لم تكن لتتمكن أبداً من فهم هاوية التفضيل التي كانت موضوعاً لها. وكانت ستفقد الخبرة الأكثر توافقاً على الإطلاق. إذا لم تصل إلى الايمان بما لم تتمكن من رؤيته، وما لا تستطيع الخبرة المباشرة أن توفره لها، فإنها لم تكن لتتمكن أبداً من الاستمتاع بالكامل، أي - للمفارقة - عيش خبرة كاملة للهبة التي مُنحت لها. لكان لقائها مع ذلك الحضور يظل ذكرى جميلة، تعيد النظر إليها بحنين، وهذا كل ما في الأمر.

---

[٤١] الأب لويجي جوساني، «البحث عن الوجه الانساني»، بور، ميلانو ٢٠٠٧، ص ٧٨.

[٤٢] الأب لويجي جوساني، «الملائمة الانسانية للايمان»، بور، ميلانو ٢٠١٨، ص ١٣٦.

إن انطباعي، بعد أن سافرت لزيارة جماعاتنا خلال العام الماضي، هو أنه عندما نتحدث عن الخبرة المسيحية فيما بيننا، غالباً ما نميل إلى اختزالها إلى ما يمكننا قياسه، إلى ما ينتج عن تأثير الواقع في القلب، إلى الخبرة الطبيعية، وكأن الإيمان لا علاقة له بها، ولم يحدد عمقها الأصيل، ولم يعيد تشكيل أفقها. يقدم لنا الأب جوساني عاملاً ثالثًا يصفه بهذه العبارات: «الآخر (المسيح) هو الذي يأخذ زمام المبادرة في حياتنا، لذا فهو الآخر الذي ينقذ حياتنا، ويوصلها إلى معرفة الحق، ويوصلها إلى القبول والتمسك بالواقع، ويحملها إلى محبة الحقيقة، ويقودها إلى حب الواقع. إنه «الآخر». وبالتالي، يتعلق الأمر بـ «قبول أن الآخر يأتي بيني وبين الواقع ويجعل علاقتي به ممكنة».[٤٣] لذلك من الضروري التغلب على احتمال اختزال الخبرة المسيحية في هذين العاملين فقط: من ناحية، احتياجات القلب (السعادة والجمال والحب)، ومن ناحية أخرى، الواقع، الذي نفهمه على أن ما يحدث لحظة تلو الأخرى "يؤثر" على القلب. فلو كان هناك في الواقع هذين العاملين فقط، لكان من المستحيل، بل وحتى من الحماقة، إصدار الحكم الذي أصدرته السيدة يوني كاراسكوزا والذي قدمته لنا في عدد شهري يوليو وأغسطس من مجلة آثار، بمشاركتها لحالتها الصحية. كما ستعلمون، منذ أكثر من عام، تعرضت صديقتنا لحالة من الشلل المتدرج في غضون ساعات قليلة، بعد إصابتها بمتلازمة جيان باريه بعد إصابتها بعدوى. «إذ وجدت نفسي فجأةً ممتلئة بالأنابيب في كل مكانٍ في جسدي: "وأنا من أكون؟" [...] إن قسم العناية المركزة هو مكان غير مريح، وذكرني كثيراً بكل الألم الذي رأيت الأب جوساني يعانيه أثناء مرضه. وبواقعيته الكبيرة، فعندما كان يمر بيوم سيء، كان يقول الأشياء كما هي، وفي الوقت نفسه كان يذهب دائماً إلى أبعد من ذلك. وأنا أفكر فيه، سألت نفسي: "ما هو مكاني الآن؟". وبإتباعي لواقعيته، أصبحت قادرة سريعاً على القول: "إن هذا إسمه صليب". وتذكرت عندما كان يقول إن الظروف التي يجعلنا الرب أن نعيشها هو عامل جوهري لدعوتنا. وأن الأمانة للصليب قادتني إلى معرفة المسيح التي قادتني إلى أن أفهم وأعيش القيامة بطريقة أكثر عمقاً. وقد فهمت ذلك لأنني بدأت أشعر بالسلام. [...] كيف يكون للسلام والفرح والسعادة حضور في هذا الضعف الشديد؟ شعرت وكأنني رأس بلا جسد، فكيف يمكن أن يحدث شيئاً كهذا؟ "سيعرفونني من الفرح الذي يرتسم على وجوهكم". وهذا ما حدث لي بالضبط. فقد كانت تلك الفترة بمثابة رسالة ومهمة في صمت، لأنني لم أستطع التحدث، ولكن من المثير للاعجاب كيف يمكن لشخص في العناية المركزة تكوين صداقات بعينيه فقط. كيف حدث ذلك؟ لا تسألوني، فلا أعرف كيف حدث هذا، لكني أعرف من كان».[٤٤]

ونظراً لتأثرنا بشهادتها، أردنا في بداية العام الجديد أن تعيد للجميع قصة الخبرة التي عاشتها، ولذلك هي معنا اليوم بالتواصل المرئي عبر الانترنت من مدينة مدريد.

شاهد الفيديو

إن الحكم الموثق هنا ينبع من الإيمان، من العلاقة التي تم الاعتراف بها وعيشها مع المسيح: فالحس الديني ليس كافياً. إذ أن الخبرة التي قدمت السيدة يوني شهادة بها هي خبرة متأصلة في اليقين، الذي أُعطي لها بالنعمة، وهو أن يسوع الانسان، الذي سُمر على الصليب منذ ألفي عام، كان ابن الله، الذي حول آلامه إلى أجدى وأعظم عمل محبة في التاريخ، وثانياً، هي خبرة متأصلة في فهم أن كل ألم، إذا تم تقدمته، يمكن أن يشارك في نفس الخصوبة السرية منذ ذلك اليوم فصاعداً. فبدون هذا الحكم، الذي لم يكن من الممكن أن

---

٤٣ الأب لويجي جوساني، «في مسيرة» (١٩٩٢ - ١٩٩٨)، بور، ميلانو ٢٠١٤، الصفحات ١٩٣ - ١٩٤.

٤٤ السيدة يوني كاراسكوزا، «العالم في غرفة»، مجلة آثار، عدد ٧ / ٢٠٢٣، الصفحات ٢١ - ٢٢.

تستمده السيدة يوني فقط مما كان يحدث لها، بل من مسيرتها الإيمانية بأكملها، بدءاً من لقائها مع الحركة، أي بلقائها مع المسيح، فطريقة وصفها لما كانت تعيشه كان يمكن أن أمراً مستحيلاً، ولا معنى له. فقد كانت السيدة يوني قادرة على أن تعيش خبرتها - أي "بسماع" و"رؤية" حقيقيين - بقوة إيمانها بالمسيح، أي اليقين بأن يسوع الناصري الإنسان كان ولا يزال هو بالفعل كما تقول لنا الكنيسة. ويفتح الإيمان عمقاً للخبرة لا يمكن الوصول إليها بخلاف ذلك.

إن الإيمان بما قاله هذا الحضور عن نفسه، والذي يصل إليّ من خلال تقليد الكنيسة، لديه القدرة على تغيير طريقتي في النظر إلى الألم، والتضحية، أو حتى إلى الخلافات البسيطة التي قد تنشأ في العلاقة مع الزوجة أو الزوج، وإلى نزوات الأبناء، وإلى الزميل يضايقني وما إلى ذلك.

ففي الواقع، بدون وصولي لحكم الإيمان، التي يمليه الإيمان نفسه والذي لا يمكن الدخول فيه بدونه، فأنا لا أستطيع حتى عيش الخبرة التي هي الأكثر توافقاً واتساقاً: أي ادراكي وفهمي، بدهشة، لمحبة الله العميقة والجسدية في الآن ذاته تجاهي في كل الظروف. والتي ربما يفوتني أفضل ما فيها.

أود أن أقدم مثالاً آخر، مستمد هذه المرة من خبرتي في تسلق الجبال. لنتخيل أننا على جدار صخري أملس، يبدو من النظرة الأولى أنه لا يمكن تسلقه. وبالنسبة للمتسلق الهاوي، سيبدو من المستحيل تسلق الجدار، فيعود إلى منزله وهو يشعر بخيبة الأمل. لكن، بالنسبة للعين المدربة، فإن أصغر الشقوق، التي تبدو في البداية عيوباً بسيطة في الصخر، تصبح مقابض لدعم وزن الجسم دون أن يسقط. وهكذا، يمكن للمرء العبور حيث يبدو مستحيلاً. ويترك فينا الإيمان الذي نعيشه تأثيراً مماثلاً، حيث يقودنا إلى رؤية ما لا يظهر للعين "الطبيعية" والذي مع ذلك يعد جوهرياً لكي نتمكن من رؤيته وتذوق ما علمنا الأب جوساني أن نسميه "المائة ضعف" - فالسر يختفي داخل الظروف، وداخل الوجوه والأشياء. وكما قال بنفسه: «إني أرى ما ترون، ولكنكم لا ترون ما أرى!».[٤٥]

الإيمان الذي يُشكل الحياة

من المهم أن نفهم كيف أن كل هذا حقيقي وكيف يؤثر على الخبرة الشخصية وصولاً إلى عواقبه التي يمكننا رؤيتها واختبارها. إذ أن «الإيمان [...] يُشكل الحياة»،[٤٦] كما قال لنا الأب ماورو ليبوري خلال الرياضة الروحية للأخوّية. وبتشكيل حياة أولئك الذين ينتمون إلى جسد المسيح الحي، يحدث إتساع لـ «سحابة الشهود» المذكورة في رسالة القديس بولس إلى العبرانيين. سحابة حية، ليس من الماضي فقط، بل ومعاصرة لنا أيضاً، يمكننا أن نراها ونتبعها، مثل أولئك الذين تمكنوا من لقاء يسوع الانسان الذي سار في شوارع الجليل المتربة، وقام فيها بالكرازة وبأعمال غير عادية. كذلك نحن نرى أشياء غير عادية تحدث، والتي تشهد لهذه الحياة الجديدة التي يقدمها الإيمان. وقد سمعنا هذا منذ قليل من السيدة يوني. ولكن لدينا أيضاً دليل على ذلك هذا الصيف، في الشهادات العديدة التي سمعناها أو التي لا تزال تصل إلى مجلة «آثار». وستجدون بعضها على موقع الإلكتروني لحركة الشراكة والتحرر أو في مجلة الحركة.

فالأمر يتعلق على وجه التحديد بحكم جديد وأصلي، وبمعرفة جديدة بالأشياء التي تسمح لنا بمواجهة الواقع بطريقة قد تكون بعيدة عن متناولنا بخلاف ذلك.

---

[٤٥] الأب لويجي جوساني، «جاذبية يسوع»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ١٥.

[٤٦] الأب ماورو جوزيبي ليبوري، «عيوننا ثابتة على يسوع، أصل الايمان ومتممه»، منشورات العالم الجديد، ميلانو ٢٠٢٣، ص ٤٥.

إذن، ما هي المشكلة التي نجد أنفسنا نعاني منها في غالب الأحيان، لماذا ندخل في أزمة، لماذا نشعر بنقص الإيمان كمصدر لليقين الوجودي القادر على دعم ومساندة الحياة في التجارب والمحن التي نتعرض لها؟

وكما قال لنا الأب ماورو ليبوري مرة أخرى في رياضتنا الروحية: «"إن الإيمان لا يضيع، بل يتوقف عن تشكيل الحياة" أي أنه يتوقف عن إعطاء شكل للحياة من الداخل.الفعل يشكل (In-formare)، اشتقاقياً، قبل أن يعني ببساطة "يبلغ أخبار"، يعني "يُشكل من الداخل"، "التشكيل من الداخل». [...] أي حقيقة أن الإيمان يفيد على وجه التحديد في إعطاء شكل للحياة؛ لذلك لا نفهم فائدة الإيمان إلا عندما يُشكل الحياة، فتأخذ الحياة شكلاً لا يمنحها إياه سوى الإيمان فقط. وعندما نُنحي الإيمان جانباً يصبح بلا فائدة».[٤٧]

٤) رفقة تُعّلِمُنا

ما هو السبيل للدخول في خبرة تحسد عليها مثل تلك التي شاركتنا بها السيدة يوني و ما شاركنا به العديد من أصدقائنا الذين يعيشون في هدوء وسكينة خبرة إيمانية عميقة؟ وقد قلنا ذلك بالفعل بمعنى ما: فكل هذا أصبح ممكناً بفضل العيون الجديدة التي يمنحها لنا الإيمان نفسه. وفي الوقت نفسه، من الحقيقي أيضاً أن هذه العيون، على الرغم من تلقينا إياها بفضل حدث نعمة خالص، مثل أي عضو، يجب تدريبها وتعليمها. فكما يرى متسلق الجبال مقابض الأيدي ويتمكن من التمسك والتعلق بها لأنه إعتاد فن تسلق الجبال، كذلك يجب أن تتعلم عيون الإيمان. إذ من الضروري العمل والزهد. لكننا لا نتعلم بمفردنا. إذ هناك حاجة إلى مكان و إلى رفقة وصحبة.

اسمحوا لي في هذا الخصوص أن أقرأ عليكم مقطعًا جميلاً للبابا بندكتوس السادس عشر: «أنا لا أستطيع أن أبني إيماني الشخصي في حوار خاص مع يسوع، لأن الله يهبني هذا الإيمان من خلال جماعة المؤمنين التي هي الكنيسة، ثم يُدخلني في جموع المؤمنين أي في شركة ليست اجتماعية فحسب، بل متجذرة في محبة الله الأبدية، الذي هو في ذاته شركة الآب والإبن والروح القدس، فهي محبة ثالوثية. يكون إيماننا شخصي حقًا، فقط إذا كان جماعياً أيضاً: يمكن أن يكون إيماني فقط إذا كان يعيش ويتحرك داخل الـ"نحن" أي الكنيسة، وفقط إذا كان إيماننا هو الإيمان المشترك للكنيسة الواحدة. [...] وهكذا فإن "الأنا" داخل الـ"نحن" أي الكنيسة ستكون قادرة على إدراك ذاتها كمتلقية وبطلة في الآن ذاته لحدث يتجاوزها».[٤٨]

نحن نتواجد على طريق. وطريق الدخول إلى النظرة التي تحدثنا عنها هو الانتماء. فالنسك الحقيقي هو إعطاء الفضل هذا، والسماح لأنفسنا بأن نكون محاطين بواقع الشركة الذي يأخذنا إلى حيث لا يمكننا أن نصل بمفردنا. فالشركة هي الطريق الذي يعلمنا هذه النظرة الجديدة. وأن القيام بالمسيرة التي بدأناها باللقاء هو السماح لأنفسنا بالتعلم. كما توجد الحرية في هذه المسيرة، لأنه من الضروري وجود طاقة من الحرية: والتواضع، أو، إذا أردت، ما يسميه الإنجيل «فقر الروح».

يقول لك المجتمع المعاصر: إذا كنت تريد أن تكون حراً، عليك أن تحكم على كل شيء بنفسك، ويجب ألا تسمح لأي شخص بغزو مساحتك الخاصة. لسوء الحظ، أحياناً نميل نحن أيضًا إلى التفكير بنفس المنطق. أما نحن فنقول العكس: إذ نقول أن الشراكة هي التي تحرر

---

٤٧ نفس النص المذكور عاليه، ص ٤٦.

٤٨ البابا بندكتوس السادس عشر، لقاء عام مع جمهور المؤمنين، ٣١ أكتوبر ٢٠١٢.

الذات (ففي الحقيقة نحن نسمي أنفسنا «الشراكة والتحرر»). فما هي الطريقة التي يعمل بها (الله) السر؟ «إن الطريقة التي يعمل بها الآب تسمى المسيح، وبالتالي الكنيسة، وبالتالي الوحدة فيما بيننا. يا له من ثِقل أبدي، ومن قيمة لا نهائية، ويا له من تركيز تذخر به هذه الكلمات، التي نستخدمها مثل الورق المهمل الذي يلعب به أطفالنا».[٤٩]

باختصار، لست أنا الذي أغير وجهة نظري للدخول في النظرة الجديدة التي تنبثق من الإيمان. ولنستمع إلى ما يقوله لنا الأب جوساني حول هذا الموضوع: «لقاء: أنت التقيت بهذه الصحبة (أعضاء الأخوية)؛ هذه هي الطريقة التي طرق بها سر يسوع على باب بيتك، يسوع، حضور يسوع في التاريخ الان، الان! - ويقرع على بابك بنفس الطريقة، لأن «يسوعَ المَسيحَ هو هو أَمْسِ واليَومَ ولِلأَبَد». أنت تصبح ذاتك عندما تتبع هذه الصحبة، أي عندما تحاول تصور الحياة كما تتصورها هذه الصحبة، وعندما تحاول الشعور بالعلاقات التي تقدم لك هذه الصحبة، وكما تقترح عليك هذه الصحبة، وكما تعطيك هذه الصحبة المثال (ولهذا السبب من المهم معرفة من هو الأكبر أو من له السلطة). وستصبح نفسك إذا أطعت، و إذا تماثلت مع خصائص هذه الصحبة، و إذا لم تعترض: "لكن أنا هو أنا! لماذا يجب علىَ إذن أن أتبع هؤلاء الأشخاص؟"، أو: "أنا أتبع القواعد الأخلاقية، لكنني لا أتبع ما يؤكد عليه هؤلاء الأشخاص. فعلى سبيل المثال، يوضحون لي أن الصلاة الأجمل والأكثر إنسانية والأكثر فعالية والأكثر إقناعاً هي الصلاة الليتورجية (الصلوات الطقسية). لكنني على العكس، أتبع هؤلاء الذين يمجدون الصلاة الخاصة". إنهما طريقتان لعبادة الله، ولكن إذا التقيت بهذه الصحبة، فيجب عليك أن تحاول اتباعها، والتماثل معنا ومع الخبرة التي نعيشها: وهذا يعزز مظهرك، وطباعك، وشخصيتك. لذا فإن المشكلة ليست في الالتزام بقواعد معينة، بل في التماثل مع روح، والتماثل مع عقلية، والتماثل مع رهافة حس؛ أي التماثل مع موهبة (كاريزما)- كما يقال كمصطلح عالمي -، بالطريقة التي وصل بها إليك (الله) السر الذي صار إنساناً بشكل مقنع قائلاً لك:"تعال!".[٥٠]

ولكن إذا كان هذا صحيحاً، فأستطيع القول: «نعم، حسناً، ولكن إذا كنت لا أشعر بالتوافق، فلماذا يجب على الاتباع؟»، أقصد التوافق بخصوص ما يتم اقتراحه وبالطريقة التي يتم بها طرح ذلك المقترح علىّ. أو: «يبدو أنني لا أفهم»، اعتراض آخر. أجيب على هذا النحو: هل من المعقول الاتباع حتى عندما لا نفهم كل شيء؟. وهذه هي نتيجة لما سمعناه للتو من الأب جوساني. وهذا لا يعني الاتباع وأنا أنكر عقلي، وقلبي، و إلا صار الأمر حالة من الاغتراب. إن الجاهزية والاستعداد ليس إيمان بلا عقل: إذ تُتاح لي دائماً فرصة التحقق - التحقق! - من الاقتراح المقدم لي. ولكن للتحقق منه، يجب علي أولاً أن أُعطي مصداقية لمن قدم لي هذا الاقتراح، وأعتبره فرضية إيجابية. لماذا أتبعه حتى عندما يبدو أن شيئًا ما لا يتوافق، وربما قد يضعني في أزمة؟ بسبب الأمانة للقاء الذي حدث، أي للطريقة التي قرع بها سر يسوع باب بيتي، وباب بيتك. ولماذا، لكي أكون أميناً لهذا اللقاء، يجب أن أتبع هؤلاء الأشخاص بدلاً من آخرين؟ لأن الأمانة ليست لهم في نهاية الأمر، بل لمن بحضوره في واقع هذه الرفقة (الصحبة) يقودها إلى المصير (الأبدي)، ويظل حاضراً، بغض النظر عن كل الأخطاء التي قد يرتكبها كل واحد منا، ليثبت لنا أنه الجواب الوحيد للحياة: «يا رب، [إذا ابتعدنا عنك] فإلى من نذهب؟ وأنت [وحدك] عندك كلام الحياة الأبدية».[٥١]

---

٤٩ الأب لويجي جوساني، «الإيمان هو إعتراف بحضور»، مدونات من حوار للأب جوساني مع مجموعة من البالغين، ميلانو ١٩٧٧، ملحق مجلة «آثار»، عدد١١ / ٢٠٠٠، ص ٤.

٥٠ الأب لويجي جوساني، «منهج ينبثق من الطبع»، بور، ميلانو ٢٠٠٢، الصفحات ٧ و ٨.

٥١ يو ٦: ٦٨.

٥) من الإيمان تنبثق الرسالة

إن ذروة النظرة الجديدة التي تنبثق من الإيمان هي النظر إلى الآخر بشوقٍ لكي يستحوذه نفس الحدث الذي يملأ حياتي. والتي نسميها رسالة. وقد أصر البابا كثيراً على هذه الكلمة في لقائه مع أعضاء الحركة في ١٥ أكتوبر الماضي، والتي خصص لها الجزء الأخير من خطابه .

وأخبرنا سعادة المونسنيور باولو مارتينيلي في الإجتماع الدولي للقادة في أغسطس الماضي: «إنني أتعلم أن إرسالنا يعني أولاً وقبل كل شيء أن شخص ما يقوم بإرسالنا على الدوام. وهذا يعني أن بعثنا للرسالة ممكن فقط إذا كان هناك رباط عميق بالشخص الذي أرسلنا. إذ بمجرد أن ننسى هذا فإننا نفقد معني الرسالة. ولم يعد لدينا المعني والحس بذواتنا».

فالرسالة هي المكان الذي دُعيت أن تكون فيه، وتطورها هو ما يريده الله. و إلا فهي ليست رسالة. فالرسالة تعني أن هناك من يرسلك؛ وهذا يعني أنك، من خلال اللقاء، قد تم اختيارك لتعلن للجميع ذاك الذي اختارك وفضّلك بدون استحقاق منك. لقد اختارك لهذه الغاية. وبالتالي، إذا اختارك لهذا الغرض، أي إذا دعاك - الدعوة - و إذا تزامنت دعوتك مع إرسالك، فهذا يعني أنه، حيثما تكون، فأنت لديك وعي بأنك لست هناك فقط من أجل نفسك و لمشروعك الخاص ولتحقيق مكاسبك الخاصة، وللحصول على أقصى ما يمكنك الحصول عليه من عائد، لكنك موجود تلبيةً لطلب شخص يريدك هناك، فأنت هناك لأن شخص ما أرسلك ويريد من خلالك أن تعلنه للآخرين، ومن خلال ما يغيره فيك إذا عرفته وقبلته.

فوجود هذا الوعي فينا هو بداية الرسالة. دعونا نفكر، على سبيل المثال، في أولئك الذين يجدون أنفسهم في أكثر الأماكن التي لا يمكن تصورها في العالم للعمل، كيف يمكن لهذا الوعي أن يغير طريقة وجودهم هناك: إنهم هناك من أجل العمل، نعم، لكنهم ليسوا هناك من أجل العمل فقط، ولكن حتى يتمكن الآخرون، من خلال حياتهم، من لقاء المسيح ومعرفته، وهذا يؤثر أيضاً على طريقة تعاملهم مع عملهم ومع ظروفهم.

٦) الحرية على المحك في السؤال

لقد أصبح كل هذا ممكناً، من البداية إلى النهاية، بمبادرة حدث شخص آخر (المسيح). فالنعمة لها الأولوية ليس في البداية فقط، ولا حتى في النهاية فقط، بل في كل خطوة في المسيرة. إنها إذن نعمة تقودني إلى الخبرة الجديدة التي تحدثنا عنها. ولكن - كما ذكرنا - فإن حريتنا هي أيضاً على المحك، كسؤال.

ويؤكد ذلك مقطع من كتاب "هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟" بتلخيص المسيرة حتى هنا.

وذات يوم يقول واحد من هؤلاء الذين بدأوا مسيرة الابتداء في جماعة «حافظي ذكرى الرب» (Memores Domini) للأب جوساني: «أنا أتعلم محبة المسيح من خلال علاقتي بالواقع، لكنني أتعرض لمخاطرة اعتناق مذهب حلولي (أي أن الله والكون شيء واحد)، بينما أفهم أنه يجب علي أن أبذل حياتي لشخص أي للمسيح». فيجيب الأب جوساني على ذلك بقلب المنظور على النحو التالي: «هذه فرضية مجردة بطريقة بحتة، إذ هي كلمات منطوقة. فأنت تتعلم أن تحب المسيح لأنه يكشف لك عن ذاته. أنا آسف، فأنتم الموجودون هنا كنتم موضوع مبادرة آخر: فأنت لم تختاروا المناسبة التي قادتكم إلى هنا! لذلك، من الجحود العميق دائماً ألا نتذكر ذلك، والأسوأ هو أن نتخلى عنه. إننا نتعلم محبة المسيح من خلال الاعتراف

بحضوره. إنها نعمة: ومثل الحضور، هكذا يكون الاعتراف به. ونمو هذه النعمة يسمى السؤال. فالأب مكسيميليان كولبي، بينما كان داخل المخبأ الذي مات فيه، في تلك الساعات الرهيبة، وهو يصلي، كم زاد إتحاده بالمسيح وتعمقت معرفته به أكثر مما كان عليه عندما كان يدرس اللاهوت في الكلية الاكليريكية! ليس من خلال معرفة الواقع نعرف المسيح، لأنه ليس لدينا أي صلة به. فمن خلال معرفة المسيح نعرف الواقع. ونعرف أكثر المسيح من خلال سؤاله».[٥٢]

من الواضح هنا أن الأب جوساني لا يضع المسيح في موقف متعارض مع الواقع، ولا يقلل من قيمة العلاقة مع الواقع باعتبارها طريقاً إليه، لكنه يقصد التأكيد على أننا لا نستطيع أن «نحب» المسيح إلا إذا أخذ هو المبادرة بجعل نفسه حاضراً. فمعرفته ومعرفة ألوهيته، في الواقع، ليست نتيجة بحث عقلاني، بل هي هبة وعطية. ونحن موضوع هبة وعطية منه.

أختتمُ بالكلمات التي قالها الأب جوساني في حواره مع مجموعة من البالغين في ميلانو عام ١٩٧٧، والتي أشعر أنها موجهة لنا اليوم بنفس الطريقة: «أنا سعيد بالتحدث إليكم، بالفرحة التي يجب عليها العبور بمشقة، كل ثقل محدوديتي، وثقل وعيي بخطيئتي، لا لإلقاء خطاب لكم، بل لأقول وأكرر هذه الكلمات التي هي الحياة. ليست الحياة بالمعنى المجرد والعام، كتعريف، ولكن أنت: هذه الكلمات هي أنت، شخصك، هي ذلك المصير الذي تتدفق نحوه كل الطاقة التي ولدها الله في بطن أمك والتي تحمل اسمك، لكن معنى تلك الطاقة ليس اسمك، لأن اسمك الحقيقي هو آخر: إنه الإيمان الذي منحه الله لك».[٥٣]

قام بالترجمة من الإيطالية: لوقا أسعد ناروز

© ٢٠٢٣ أخوية الشراكة والتحرر.

صورة الغلاف: «معجزة شفاء المولود أعمى»، جدارية، من القرن التاسع الميلادي، كنيسة سانت أنجلو للآباء البنديكتيين في فورميس (كازيرتا).

© الأب فرانشيسكو دوونّولو

٥٢ الأب لويجي جوساني، «هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٥٧٢.

٥٣ الأب لويجي جوساني، «الإيمان هو الاعتراف بحضور»، نص سبق ذكره آنفاً، ص ٢